الأساليب البلاغيّة وأثرها في فهم النص القرآني ودلالاته

د. نصرالدين إبراهيم أحمد*

المستخلص

يوضّح البحث ما تميّز به القرآن الكريم من أساليب بلاغية متنوعة، وتصاوير رائعة ساعدت في إبراز ، وشرح فكرة النص القرآني، وشرحها وكيفية التعامل مع أساليبه البلاغيّة المتنوعة في الكشف عن الدلالات الخفيّة، التي تكمن وراء النص القرآني. إنّ فهم النص القرآني يحتاج إلى شرح وتحليل الأساليب البلاغيّة التي تحيط بالنص. ويكون من العبث بمكان إهمال هذا الجانب المهم، خاصة ونحن في عصر العولمة الثقافيّة والمعرفيّة، ومجالاتها المتسعة المتنوعة، وتبعاتها وممارساتها المختلفة، مما يدعو الباحث إلى التزوّد بالمعرفة القرآنيّة، وفهم أسرار القرآن الكريم، وبالطبع لا يمكن فهم النص القرآني دون معرفة تلك الدلالات التي تكشف ما وراء النص. ودراستنا تتناول بعض الأساليب البلاغيّة – على سبيل المثال لا الحصر– وتقوم بدراستها، وتقديم تحليلٍ واضحٍ يكشف عن الدلالات البلاغيّة التي تحيط بالنص القرآني. وانحصرت حدود البحث في أسلوب التقديم والتأخير، والفصل والوصل، والتخصيص (القصر)، والذكر والحذف، والفاصلة والسجع، والتوازن، والتشبيه. وقد توصل البحث إلى العديد من النتائج التي تمر ذكرها في خاتمة البحث.

* أستاذ البلاغة والنقد المشارك قسم اللغة العربيّة وآدابها ،كليّة معارف الوحي والعلوم الإنسانيّة الجامعة الإسلاميّة العالميّة/ماليزيا.
البريد الإلكتروني.nhussien@hotmail.com

المقدمة:

فاق القرآن الكريم قدرة البشر في دقّة الأسلوب، وجمال التعبير، وبلاغة الكلم، حتى سجد له من يعتبرون أنفسهم الغاية في الفصاحة، والحجة في الإفهام. إنّ ما يميّز الخطاب في القرآن الكريم هو تلك الأساليب البلاغيّة، ودلالاتها التي حواها النص القرآني، وهي التي كست ذلك الأسلوب روعة وجمالاً وبهاءً، حتى اهتزت له تلك النفوس التي حباها الله فصاحة التعبير، ورهافة الحس، وبداهة الذهن. فقد أدرك هؤلاء " ما لهذا البيان القرآني من إعجاز لا يملك أي عربي يجيد حسّ لغته، وذوقها الأصيل، سليقة وطبعاً إلا أن يسلّم بأنه ليس من قول البشر"[1]. هذا وقد اتّبع الباحث المنهج الاستقرائي والتحليلي، وهو يتفق مع مشكلة البحث التي تحاول كشف الدلالات الخفيّة في معاني القرآن، وأسلوبه الذي تفوّق على أصحاب الفصاحة والبيان.

ولذا جاء هذا البحث يهدف إلى عرض وتحليل أساليب، ونماذج من التصوير البلاغي في القرآن الكريم، يكشف عن دلالاتها الخفيّة التي تحيط بالنص القرآني. وفي هذا الصدد، فقد اخترنا بعض الأساليب البلاغيّة من القرآن الكريم، لعرضها في هذا البحث، وذلك على سبيل إيضاح الفكرة، لا الحصر والتحديد.

التقديم والتأخير.

إنّ لغة العرب تزخر بفنون بلاغيّة متنوعة، ولعل هذه الفنون هي التي أسدت إلى لغة الضاد هذا التفرّد بين لغات العالم، ومن هذه الفنون بلاغة التقديم التي أضفت جمالاً رائعاً في تناول النص الأدبي وتذوّقه. إن تقديم النص في لغتنا العربية له أهمية بالغة الأثر، فليس من شأن العربي– صاحب البيان واللسان- أن يقدم كلاماً على نيّة التأخير، أو يؤخر كلاماً على نيّة التقديم حشواً أو عبثاً، بل لهذا كله أسبابه الموجبة التي تخرج الكلام العربي في أبهى صوره؛ فصاحة وبياناً. ومن أجل هذا حرص العرب على سلامة المعنى، وفصاحة اللفظ، ودقّة التعبير.

عاب الإمام عبد القاهر الجرجاني على النحاة، عدم تعمّقهم في معرفة أسرار الكلام ودقائقه، حيث لا ينظرون في الحذف والتكرار، والإظهار والإضمار، والفصل والوصل، ولا في نوع من أنواع الفروق والوجوه إلا من حيث الأهمية وعدمها، والطرافة وموضع الندرة في الكلام.كما يرى أن من الخطأ أن يقسّم الأمر في تقديم الشيء وتأخيره قسمين؛ فيكون مفيداً في بعض الكلام، وغير مفيد في بعضه الآخر، وأن يعلل تارة بالعناية، وأخرى بأنه توسعة على الشاعر والكاتب،حتى تطرد لهذه قوافيه، ولذاك سجعه[2].

---

[1] الإعجاز البياني للقرآن، الدكتورة عائشة عبد الرحمن، دار المعارف، عام 1971م، ص34.

[2] دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، صحح أصله الأستاذ الإمام محمد عبده، والأستاذ الشيخ محمد محمود التركزي الشنقيطي، دار المعرفة، بيروت لبنان، الطبعة الثانيّة، عام 1419هـ 1998م، ص 87.

همزة الاستفهام.

يذكر الإمام عبد القاهر أمثله مختلفة مع همزة الاستفهام تارة يليها الاسم، ويكشف عما بينها من أسرار بلاغية، فإذا قلت: أفعلت؟ فبدأت بالفعل كان الشك في الفعل نفسه، وكان غرضك من استفهامك أن تعلم وجوده، وإذا قلت: أأنت فعلت؟ فبدأت باسم، كان الشك في الفاعل، من هو، و كان التردد فيه. وهذا الذي ذكر (قائم) مع الهمزة إذا كانت للتقرير، فإذا قلت: أأنت فعلت ذلك؟ كان غرضك أن تقرره بأنه الفاعل، يبين ذلك قوله سبحانه وتعالى عن قوم (النمروذ) : (**قَالُوا أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ**)(الأنبياء،آية: 62). فهم لا يريدون أن يقرّ لهم بأن تكسير الأصنام قد كان، ولكنهم يريدون الاعتراف بأن ذلك كان منه هو. وقال هو عليه السلام في الجواب(**قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ**).(الأنبياء،آية: 63) ولو كان التقدير بالفعل لكان الجواب: فعلتُ أو لم أفعل. ومعلوم أن الألفاظ تتبع المعاني، والمعاني تتقدم على الألفاظ، وإنما يكون ذلك لعلل وأسباب[3].

التقدم بالزمان.

كالأبعد من الآن مع الأقرب إليه، ومنه تقدم الوالد على الولد، فإن الوالد وجد في زمان لم يكن فيه الولد موجوداً، فما كان من المعاني متقدماً على غيره بأحد هذه الاعتبارات، أو بأكثرها كان في العبارة كذلك.

ومن التقدم بالزمان:(**وَعَادًا وَثَمُودَ وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ مَسَاكِنِهِمْ**) (العنكبوت، آية: 38) ومنه: (**الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ**) (الأنعام، آية:1) فإنّ الظلمة سابقة على النور في الإحساس،وكذلك الظلمة المعنوية سابقة على النور المعنوي، والطفل في بطن أمّه أول ما يشعر به هو الظلام، حتى يخرج إلى دنيا الواقع، إلى دنيا النور، ومنه قوله تعالى: (**وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمْ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**) (النحل، آية: 78)، وحاسة السمع تنمو وتتطور لدى الطفل قبل حاسة البصر.

كما نلحظ في قوله تعالى: (**وَالْفَجْرِ، وَلَيَالٍ عَشْرٍ،وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ، وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ، هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ، أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ، إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ، الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ، وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِي، وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ**) (الفجر، آية: 1-10) فالترتيب الزمني واضح في هذه الآيات، بحيث لا يخفى على كل ذي بال، فقوم عاد، سبقوا قوم ثمود، وقوم ثمود سبقوا قوم فرعون، ولذلك جاء هذا الترتيب متناسقاً، ومتفقاً مع الفترات التاريخية التي عاشتها هذه الأقوام، دون تقديم أو تأخير. وهذا يؤكد أن القرآن الكريم إنما هو وحي من عند الله سبحانه وتعالى، دقيق في ترتيبه، وتسلسل أفكاره.

التقدم بالسببية.

مثل تقدم العزيز على الحكيم؛ لأنه عزّ فحكم، كقوله : (**وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ**) (آل عمران، آية: 126). ومن ذلك قول الله سبحانه وتعالى: (**إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ**) (البقرة، آية: 222).فإن التوبة سببٌ للطهارة، والطهارة قد تكون معنوية أو مادية، أي بمعنى طهارة النفس أو

[3] المصدر السابق،ص88.

الجسد، والكافر أو المشرك فإنه نجس إلا إذا تاب، ورجع لربّه سبحانه وتعالى، فإن توبته كفيلة بأن تقود إلى طهارته. وكذلك قول الله سبحانه وتعالى: **(تَنَزَّلُ عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ)** (الشعراء، آية: 222). فإنّ الإفك سبب للإثم. والكذب جريمة يعاقب عليها الإسلام، عقاباً شديداً، إذا كان ذلك عن طريق القسم الزائف، أو شهادة الزور ...الخ. ولهذا فهو يقود إلى الذنوب والآثام.

التقدم بالرتبة.

من ذلك قوله تعالى: **(وَمَنْ يُطِعْ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُوْلَئِكَ رَفِيقًا)** (النساء ،آية: 69).

هذه مواضع تتفاضل فيها الدرجات والرتب، فتقديم الأنبياء واضح، فهم أصحاب الرسائل السماوية الذين اصطفاهم الله سبحانه وتعالى لهذه المهام الصعبة العسيرة، والصديقون؛ هم أول من آمن بالرسل، وصدّقوا الرسالات السماوية، ومنهم الشهداء، والشهداء هم الذين ضحّوا بأنفسهم من أجل إعلاء كلمة الحق،كلمة الدين، والصالحون هم من صلحوا بتعاليم هؤلاء الأبرار، وتمسكوا بالصراط المستقيم، وعملوا على ابتغاء مرضات الله سبحانه وتعالى، وتجنب نواهيه، واستقاموا في حياتهم.

وكذلك قوله تعالى: **(وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ)** (الحج، آية: 27). فإنّ الذين يأتون رجالاً "راجلاً على قدميه" الغالب أن يكونوا من المكان القريب، أي يجاورون الكعبة بيت الله العتيق، والذين يأتون على الضامر "الدواب: الإبل والفرس..." يأتون من المكان البعيد، ومن ثم تكون قيمة المجاورة للبيت الحرام، قيمة لا تبلغها قيمة.

تقديم السبب:

يرى ابن الزملكاني أنه قد يكون في كل واحد من الأمرين صفة تقتضي التقديم لكي تكون أحداهما في مكان، فيقدم فيه، وأن ُأخّر، فمنه قوله تعالى:(**إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ)** (التغابن،آية: 15). فتقديم الأموال من باب تقديم السبب، فإنه يشرع في النكاح عند قدرته على مؤنة، فهو سبب التزوج، والنكاح سبب التناسل؛ ولأن المال سبب للتنعم بالولد، وفقده سبب للشقاء به.

وكذلك تقديم النساء على البنين في قوله تعالى: **(زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنْ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنْ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ)** (آل عمران،آية: 14). إنما أخّر الذهب والفضة على النساء والبنين؛ لأنها أقوى في الشهوة الجبلية من المال، فإن الطبع يحثّ على بذل المال لتحصيل النكاح والولد، والنساء أقعد من الأولاد في الشهوة الجبلية، والبنون أقعد من الأموال، والذهب أقعد من الفضة، والفضة أقعد من الأنعام، أو وسيلة إلى تحصيل النعم فلما صدرت الآية بالحب، وكان المحبوب مختلف المراتب اقتضت

حكمة الترتيب أن تقدم ما هو الأهم، فالأهم من رتبة المحبوبات[4]. وقد تختلف المواضع في هذا الباب على حسب الحاجة، على حسب مقتضى الحال، فلكل مقام مقال.

التقدم بالشرف.

من التقدم بالشرف في قوله سبحانه وتعالى: (**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ**)(المائدة،آية:6). نلاحظ الجمع بين الأعلى والأسفل، فالوجه والرأس يحتويان على كل الحواس المهمة بالنسبة للإنسان، وهما مكانا تشريف وتقدير.

التقديم للغلبة والكثرة.

ومن ذلك قوله تعالى: (**ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ، مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ**) (فاطر،آية: 32). قدم "الظالمين" وذلك لكثرتهم، ثم المقتصد ثم السابق.وكذلك قوله تعالى: (**وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنْ اللَّهِ، وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**) (المائدة،آية: 38). لأن السرقة في الذكور أكثر، فالسجون تمتلئ بالرجال. وقدّم في الزنا المرأة في قوله تعالى: (**الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ**) (النور،آية: 2). لأن الزنا فيهن أكثر وأعمّ، والمرأة بما وهبها الله من جمال وأنوثة تجعلها موضعا للفتنة.

وأما قوله تعالى: (**الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ**)(النور، آية: 3)..فقال الزمخشري: "سيقت الآية التي قبلها لعقوبتهما على ما جنيا، والمرأة هي المادة التي نشأت منها الخيانة، لأنها لو لم تطمع الرجل ولم تومض له، وتمكنه لم يطمع، ولم يتمكن، فلما كانت أصلا وأولاً في ذلك بدأ بذكرها، وأما الثانية فمسوقة لذكر النكاح، والرجل أصل فيه، لأنه هو الراغب والخاطب، ومنه يبدأ الطلب"[5] .

الفصل والوصل.

عقد عبد القاهر الجرجاني فصلاً في الفصل والوصل، بدأه بأن العلم بما ينبغي أن يصنع في الجمل من عطف بعضها على بعض، أو ترك العطف فيهما من أسرار البلاغة، ومما لا يأتي لتمام الصواب فيه إلا الإعراب الخُلص، والأقوام الذين طبعوا على البلاغة، وأوتوا فنا من المعرفة في ذوق الكلام هم بها أفراد، وقد بلغ من قوة الأمر في ذلك أنهم جعلوه حدّا للبلاغة، فقد جاء عن بعضهم أنه سئل عنها فقال: لمعرفة الفصل من الوصل، وذلك لغموضه ودقة مسلكه، وأنه لا يكمل لإحراز الفضيلة فيه أحد أبداً، إلا كمل لسائر معاني البلاغة[6].

---

[4] التبيان في علم البيان،المطلع على إعجاز القرآن الكريم،لابن الزملكاني، تحقيق أحمد مطلوب،خديجة الحديثي، الطبعة الأولى، د.ت، ص 147.

[5] الكشاف،الزمخشري،ج3،القاهرة، الطبعة الثانية، د.ت. ، ص 168

[6] دلائل الإعجاز،عبد القاهر، ص 17.

ذكر عبد القاهر-في وجوه الفصل- أنّ الجملة التي يكون حالها مع التي قبلها حال الصفة مع الموصوف، والتأكيد مع المؤكد فلا يكون فيها العطف البتّة، لشبه العطف فيها لو عطفت بعطف الشيء على نفسه، ومن ذلك قوله: (**إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ،خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ**) (البقرة، آية: 6، 7).فقوله تعالى:"لا يؤمنون" توكيد لقوله سواء عليهم أأنذرهم أم لم تنذرهم. وقوله: "ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم "تأكيد ثان أبلغ من الأول ؛ لأن من كان حاله إذا أنذر مثل حاله إذا لم ينذر كان في غاية الجهل، وكان مطبوعا على قلبه لا محالة.

وكذلك قولـه عزّ وجلّ: (**وَمِنْ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ،يُخَادِعُونَ اللَّهَ**) (البقرة، آية: 8 ، 9). ففصل قوله: " يخادعون الله"، ولم يصله بالواو ونحوها، لأنّ هذه المخادعة ليست شيئاً غير قولهم: "آمنا" من غير أن يكونوا مؤمنين، فهو إذن كلام أكد به كلام آخر هو في معناه ، وليس شيئا سوا " [7].

أما الجملة التي حالها مع التي قبلها فحال الاسم يكون غير الذي قبله إلا أنه يشاركه في حكم، ويدخل معه في معنى مثل أن يكون كلا الاسمين فاعلا أو مفعولاً أو مضافاً إليه، ويكون حقها العطف؛ لأنه ليس بأجنبي عنه، بل هو نظير ما جاء معطوفاً من قوله: (**إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا**) النساء،آية: 142..وقولـه تعالى: (**وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ**) (آل عمران، آية: 54).

وأنظر أيضاً إلى قوله تعالى: (**إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ، وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ،لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمْ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ**) (التوبة،آية: 45، 55) .

فقد وصلت الجمل بعضها ببعض لمكان الصلة بينها والتناسب، فعدم إيمانهم بالله واليوم الآخر، يناسب ارتياب قلوبهم ارتياباً ينغمسون فيه. وخذ الآية الثانية حيث ترى التناسب واضحاً بين تقاعسهم عن الخروج، وعدم الإعداد له، وبين كره الله لانبعاثهم، وهكذا نجد الصلة جامعة بين الجملة وأختها جمعاً يهيئ للواو مكانها بينهما[8] .

وتلاحظ أنّ الفصل يأتي مع الصفة والموصوف، والتأكيد مع المؤكد، بينما يأتي الوصل مع العطف والمعطوف، والمضاف والمضاف إليه. فمثلا في قول الله سبحانه وتعالى: ﴿**وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ النَّجْمُ الثَّاقِبُ**﴾ الطارق،آية: 3. فجملة (السماء والطارق) جملة وصل، تتحدث عن القسم بشيئين مختلفين تماما. فالسماء معروف لدينا، والطارق نجم في السماء مضيء، ووصل بين الاثنين، حيث كليهما في موضع قسم، فقد أقسم القرآن بالسماء، وكذلك بالطارق، فالجملتان قُصد إشراكهما في الحكم الإعرابي، فوصل ما بينهما.

---

[7] دلائل الإعجاز،عبد القاهر،ص 175.

[8] من بلاغة القرآن،الدكتور أحمد أحمد بدوي، القاهرة ، مكتبة نهضة مصر بالفجالة، د.ت ، ص 174.

أما الفصل، فهو ينقسم إلى ثلاثة مواضع، بحيث يكون بين الجملتين(كمال الاتصّال) كما هو بين جملة (والسماء والطارق)، وبين جملة، (والنجم الثاقب) حيث في النجم الثاقب توكيد (للطارق) الذي أقسم به في بداية الآية، وبين الجملتين اتحاد تامّ، فالجملة الثانية توكيد للأولى، وبيان لها، ويقال حينئذٍ إنّ بين الجملتين كمال الاتّصال.

أما (شبه كمال الاتّصال)، يظهر في قولـه تعالى: (**فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ**) (الذاريات،آية:28). فُصلت جملة (قالوا) عن جملة (وأوجس منهم خيفة)، لأن بينهما شبه كمال الاتّصال، إذ الثانية جواب لسؤال يفهم من الأولى،كأن سائلا سأل: فماذا قالوا له حين رأوه وقد داخله الخوف؟ فأُجيب (قالوا لا تخف).

أما (كمال الانقطاع) فيظهر في قولـه تعالـى: (**أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ، إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ، الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ**) (الفجر،آية: 6-7). فبين الجملتين تبـاين واختلاف تـام، فالجملة الأولى (إنشاء) والثانية (خبر)، وأيضا ليس بينهما مناسبة ما.

التخصيص.

ذكر الدكتور فتحي أحمد عامر، أنّ التخصيص نمط من أنماط التعبير القرآني المعجز يوحي بألوان من الفنية الخالصة، ويضع الباحثين في البلاغة أمام جديد من الصياغة عن طريق هذا الأسلوب. فالقرآن يستخدم هذا اللون عندما يراد إثبات الحكم لمذكور، ونفيه عما عداه، بقصر صفة على موصوف قصراً حقيقياً بحيث لا يتصف بهذه الصفة إلا ذلك الموصوف وحده، لا يتعداه إلى غيره أصلاً.كما يستخدم هذا اللون بقصر موصوف على صفة أو صفة على موصوف قصراً إضافياً، وهو ما كان الاختصاص فيه بحسب الإضافة إلى شيء معين.

وقد تتجسم صفة من صفات الشيء، حتى تبرز على كل ما سواها، فكأن الموصوف قد خلص لها، فلم يعد متصفاً بغيرها فيصح قصره عليها. فمن الأول قوله تعالى: (**فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ**)(محمد آية: 19) . فالله وحده هو الذي يتصف بالألوهية لا غيره، وفيها قطع الطريق على الكفار المعاندين الذين يعتقدون الشرك، وفتح الطريق أمام المؤمنين، ليثبت إيمانهم وتقوى عزائمهم في محاربة الكفر والكافرين؛ لأن الله هو مصدر النصر، وملاذ الحماية والالتجاء، حينئذ يلتجئ إليه المجاهدون حتى يكتب لهم النصر، ويحميهم من أعدائهم، ومنه قوله تعالى: (**إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ**) (الفاتحة،آية: 5). أي نخصك بالعبادة والاستعانة فليس هناك معبود ومستعان غيرك، وفي هذا من التحقير للأصنام ولعابديها، لأنه لا يجدر بالعبادة والاستعانة إلا القادر المقتدر الذي يقول للشيء كن فيكون.

وقد لا يراد الحصر الحقيقي فيخرج إلى القصر الإضافي، كما في قول الله سبحانه وتعالى: (**قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ**) (الأنعام،آية: 145). ويتعدى ذلك إلى أمور أخرى كما في قوله تعالى: (**حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي**

الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنْ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيم) (المائدة،آية: 3). فليس ما ذكر في الآية في الوضع الأول محرماً فقط، بل يضاف إليه ما ذكر في الموضع الثاني من الآية الأخرى.

وكذلك في قوله تعالى: **(وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِين مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ)** (آل عمران،آية: 144). نجد القصر هنا هو قصر موصوف على صفة قصراً إضافياً، فليس المراد قصر محمد على الرسالة لا يتعداها إلى غيره،بل المراد أن محمدا مقصور على الرسالة لا يتعداها إلى الخلوص من الموت الذي استعظم الصحابة أن يلم به.

ومن تجسيم الصفات بالقصر، أو القصر البلاغي قوله سبحانه وتعالى: **(وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ)** (سورة الأنعام، آية: 32). فالحياة الدنيا مقصورة على اللعب واللهو، ومن ثم فلا غناء فيها، ولا جدوى وراءها؛ لأن متعها إلى زوال، وبقاءها من المحال، وخير منها العمل للآخرة. فالآية بتلك الصياغة تستل خيوط الاستمساك بالحياة الدنيا من نفوس المتقين، وتبعث الشك والقلق والحيرة في نفوس الكافرين، فيرجعون إلى نفوسهم من جديد يستوحونها الغاية الأكيدة، ويتطلعون إلى ما ينفعهم ومن ثم آمن كثير من المعاندين، وعلى رأسهم عمر بن الخطاب، حيث جذبهم بريق القول، ودقيق التراكيب في القرآن فلم يملكوا إلا الإيمان، وبعد أن ازدادوا قرباً من الآيات ازدادوا التصاقا بالعقيدة السليمة، وذابوا في معين الحق الخالص[9]. فالحياة الدنيا لعب ولهو للكفار المشركين الذين عموا عن نور الحق واليقين، ولم يؤمنوا بالحياة الآخرة، فمتاعهم إلى حين، أمّا الذين أسلموا وجوههم لله رب العالمين، حنفاء له مخلصين، فإن الحياة الدنيا لهي أمر جاد لهم، يبتغون فيها فضل الله وإحسانه، ويؤدون ما يؤمرون.

الذكر والحذف.

لا تُذكَر كلمة في القرآن الكريم إلا إذا اقتضاها السياق، وَتطَلبهَا النظم، ولا تحذف كلمة في القرآن إلا وحذفها أبلغ وأنسب، وأكثر ترابطاً في الأسلوب، وأحكم للصياغة الفنية المعجزة؛ لأن نظم القرآن أرفع أنماط الكلام، ومن ثم فلا حشو، ولا تطويل يفسد به المعنى، ويترتب عليه الملل، ولا اختصار تستغلق به الأفكار، ويعسر معه الفهم، بل لكل مقام مقال، ولكل موقف نمط عجيب من النظم، بحيث تتداعى الألفاظ تداعيا طبيعيا حسبما تتطلبه المعاني، وتقتضيه الأفكار. بل تنحدر في سهولة ويسر حتى تتماسك في مواضعها التي هُيّئت لها. فللزكر في الصياغة القرآنية مجاله ، وللحذف مجاله هو الآخر، ووراء كل منهما من المعاني الإضافية ما يؤكد فكرة النظم القرآني، الذي يتعلق بمناط الإعجاز، فانظر إن شئت قوله تعالى:**(قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ،اللَّهُ الصَّمَدُ)** (الإخلاص،آية: 1، 2). مما ذكر فيه المسند إليه أو المبتدأ، فإنك ترى أن اسم الجلالة قد ذكر في الجملة الثانية، ليستقر في النفس مرتبطاً بخبره، وليفيد بتعريفه وتعريف الخبر بأنه مخصوص بأن يقصده الناس في حوائجهم،

[9] فكرة النظم بين وجوه الإعجاز في القرآن الكريم،الدكتور فتحي عامر، ،طبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلاميّة، القاهرة، ص 182، عام 1975م.

ويتطلعوا إليه في ملماتهم ونوازلهم، كما أن إعادة المسند إليه باللفظ الصريح دون الضمير يشعر بثبوت الخبر في النفس، وتمكنه من مجامع الإنسان، بالإضافة إلى ذلك التناسق الموسيقي الذي يتضح في ذكر لفظ الجلالة، والذي يختل، لو استعضنا عنه بالضمير.

ومنه قوله عزّ وجلّ: **(وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ الرُّوحِ قُلْ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيل)** (الإسراء، آية: 85) . لم يقل قل (هي) من أمر ربي، ولو قال ذلك لاختل النسق، ولكنه أعاد لفظ الروح صريحاً بعد فعل القول، ليرتبط المبتدأ بخبره، ولتستقل الجملة، وهي في معرض الرد على الذين كانوا يكثرون من السؤال عن الروح، ويشغلون أنفسهم بالبحث فيما وراء الطبيعة، مما اختص به الله جلّ وعلا، فالجملة حينئذ بايحائها تفيد بأن الروح بالذات من الأسرار المستغلقة على البشر، فعليهم أن يريحوا أنفسهم من عناء البحث عنها، ويتوجهوا بهممهم إلى ما تدركه طاقتهم البشرية.

وما جدوى البحث في الروح وقد كلّت عن الوصول إليها أفهام الفلاسفة، وعقول المفكرين؟! فالذكر هنا خير من الحذف؛ لأن الحذف معه يختل الأسلوب والاتفاق، ومنه قوله تعالى: (**وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى،قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى،قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَى،فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى،قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى)** (طه، آية: 17، 21).

يذهب البلاغيون إلى أنّ ذكر المسند إليه هنا رغبة في إطالة الكلام، وتلذذا بتلك الإطالـة، ومـما جعل موسى يتحدث بما لم يسأل عنه فقال:(أتوكا عليها...الخ. وهذا في رأي سبب غير مقنع. فالله سبحانه وتعالى يسأل سيدنا موسى عن شيء يعلمه بعلمه لا يحتاج إلى السؤال عنه، لأن الأمر سيكون فيما بعد موضع المعجزة، حيث تنقلب العصا إلى حيّة تسعى، فتتحول من أصلها كعصا إلى شيء خارج عن تكوينها بمشيئة الله سبحانه وتعالى. والتأكيد في خطاب سيدنا موسى واضح، أن هذه عصا وليست شيئاً سحريّاً، فصيغة التمليك واضحة في قوله: (هي عصاي)، ثم ذكر المهام التي تقوم بها، يعني تأكيداً آخر من نوعه، أنها عصا عادية، ثم يطلب الله سبحانه وتعالى منه أن يلقها على الأرض، حتى لا يفزع سيدنا موسى من العصا وهي تتحول بين يديه إلى حيّة، فالمشهد مفزع، يحتاج إلى ثبات واطمئنان، فيخاطبه ربّه مُطَمْئناً إياه (سنعيدها سيرتها الأولى). إذن فالأمر ليس مجرد إطالة وتلذذ، فالقرآن الكريم كتاب دقيق في خطابه الأسلوبي والمعرفي.

وانظر بعد ذلك إلى جمال النسق: (قال هي عصاي) ولم يقل: ما بيميني عصاي. ولا شك أن الآية أبلغ، وأتم في حلاوة الإيجاز. فهي منسجمة مع النسق قبلها وبعدها، وذكر موسى صريحا في تلك الآيات مرتين؛ لأن المقام مقام ذعر وهلع، فهو محتاج إلى أن يطمئنه ربه بندائه باسمه الصريح الذي يشعره بأنه معه ولم يتنازل عنه، ولم يتركه نهبا للموقف العصيب الذي تحولت فيه العصا حيّة تلقف ما يأفكون.

يقول الإمام الزمخشري في الكشاف:"لما رأى ذلك الأمر العجيب الهائل، ملكه من الفزع والنفار ما يملك البشر عند الأهوال والمخاوف. وعن ابن عباس: انقلبت "ثعبان" ذكرا يبتلع الصخر والشجر، فلما رآه يبتلع كل شئ خاف ونفر، فقال

له ربه: "خذها ولا تخف،سنعيدها سيرتها الأولى"، فهي أنشئت أول ما أنشئت عصا، ثم ذهبت وبطلت بالقلب حيّة، فسنعيدها سائرة سيرتها الأولى حيث كنت تتوكأ عليها، ولك فيها المآرب التي عرفتها"[10].

وبتأمل قليل نلاحظ أن الله جلّ وعلا كان يعدّ موسى للذهاب إلى فرعون، وهو مَنْ هو في التسلط والجبروت والظلم، وموسى لم يتمرس بعد بمعجزاته من العصا، وضم يده إلى جناحه تخرج بيضاء من غير سوء أية أخرى. فكرر ذكر اسمه في ثلاثة الأرباع الأولى من سورة طه ست عشرة مرة وهي التي تنتهي عندها قصته مع فرعون مصر، فكان لابدّ من الذكر حتى تزول آثار الخوف، وتكسوه سمات الاطمئنان، ويقدم إلى فرعون الطاغية[11].

ومن الصور البلاغية الرائعة التي ذكرها الإمام عبد القاهر الجرجاني، وقد تضمنت كثيراً من دلالات الأسلوب الإعجازي في القرآن، وبلاغته، قول الله تعالى: (**وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنْ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ،فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ**)(القصص،آية: 23-26).

في هذه الآيات "حذف المفعول به في أربعة مواضع، إذ المعنى: وجد عليه أمة من الناس يسقون أغنامهم أو مواشيهم، وامرأتين تذودان غنمهما،وقالتا لا نسقي غنمنا، فسقى لهما غنمهما. ثم إنه لا يخفى على ذي بصر أنه ليس في ذلك كله إلا أن يترك ذكره، ويؤتي بالفعل مطلقاً، وما ذاك إلا أن الغرض في أن يعلم أنه كان من الناس في تلك الحال سقي، ومن المرأتين ذود، وأنهما قالتا لا يكون منّا سقي حتى يصدر الرعاء، وأنه كان من موسى عليه السلام من بعد سقي، فأما ما كان من المسقي، أغنما أم إبلا أم غير ذلك؟ فخارج عن الغرض،وموهم خلافة ذاك أنه لو قيل: وجد من دونهم امرأتين تذودان غنمهما جاز أن يكون لم ينكر الذود من حيث هو ذود، بل من حيث هو ذود غنم حتى لو كان مكان الغنم إبل لم ينكر الذود. فأنت لا تجد لحذف المفعول في هذا النحو من الروعة والحسن ما تجد لأن في حذفه وترك ذكره فائدة جليلة. وأن الغرض لا يصح إلا على تركه"[12] .

فالسقي من الناس،والذود من المرأتين وقولهما: لا يكون منا سقى،وسقى موسى لهما، يوحي لنا بالأفكار التالية:

أولاً: بالزحام الشديد على موارد الماء.

ثانياً: على الحياء والضعف.

ثالثاً: على الاحتشام والتريث والأناة حتى تحين الفرصة المناسبة.

رابعاً: على الشهامة والمروءة ونبل النفس.

ولن تكون هذه الدلالات إلا إذا قصد بحذف المفعول إثبات الفعل في ذاته وفيما يستتبعه. إن القرآن كلام الله وحي السماء وبلاغته على الأرض، فاستعماله للعبارات في غاية من الدقّة. فالإعراب فرع المعنى وتصحّ الجملة بتمام المعنى،

---

[10] الكشاف،الزمخشري، 2/ 431 .

[11] فكرة النظم بين وجوه الإعجاز، د. فتحي، ص 188-189.

[12] دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، ص116-117.

فالأفعال-كما نرى- متعدية وليست لازمة الفاعل، ولكن بالرغم من ذلك حذف المفعول به؛ لأن ذكره لا يعبّر عن هذه الدلالات الخفيّة التي تكمن من وراء الأسلوب القرآني، ولا تجعل القارئ يفكر في ذلك الكم الهائل من الصور الشاخصة، والصفات المعنوية والمعاني الثواني وراء هذا التعبير القرآني.

فقد "جاء حذف المفعول في الآية الأولى (يسقون) تركيزا على الفاعل، تلك الأمة من الناس، إشعارا بالزحام الشديد، إذا قرَّنا هذا بما ذكر في الآية من كلمات توحي بذلك مثل: "أمة من الناس". أمّا عن دلالتي الحياء والضعف- في الموضع الثاني- فهما يستوحيان من إضافة الذود للمرأتين عن أغنامهما، والتفكر في ذلك بعمق، فالمرأة ليست كالرجل قوة ومتانة وجرأة، فالله خلقها لتكون هكذا، ولله في خلقه شؤون، إذاً فالذود جاء من قبل المرأتين. أمّا عن دلالات الحذف في الموضع الثالث الدال على الاحتشام والتريث والأناة، في قولهما: (لا نسقي) فيكمن في التعليل الواضح اللائي جئن به، وهو عدم التسرع في السقي لوجود الرعاء، ثم الاعتذار عن وجودهما بحجة أن والدهما شيخ كبير لا يستطيع الحركة، وهذا عذر مقبول، وبرهان واضح على طهرهما واحتشامهما. أمّا في الموضع الأخير والذي يدل على الشهامة والمروءة ونبل النفس فهو يتجسد في القيام بالسقي دون أجَـر يُدفَع، وجاءت كلمة (ثمّ) لتدل على الوقت الذي أنفقه سيدنا موسى في هذه المهمة الشاقة، ومن ثمّ الذهاب إلى الظل مباشرة دون أسئلة قد تدخل الحرج إلى قلب المرأتين"[13] .

وهكذا نرى أنّ الأساليب البلاغية كثيرة لا تُحْصى، ولكن هذا البحث اعتمد على قلّة من كثرة؛ لأن الهدف منه هو ليس حصر هذه الأساليب، بل الاطّلاع على فائدتها، وكيفية التعامل معها.

الفاصلة والسجع والتوازن.

ذكر الدكتور زكي مبارك في أن السجع، عندما يخاطب الوجدان والقلب في القرآن يسلك طريقة العرب في العصر الجاهلي، فيقول: "ولا ينكر متعنت أن القرآن وضع للصلوات والدعوات ومواقف الثناء والخوف والرجاء سورا مسجوعة تماثل ما كان يرتله المتدينون من النصارى واليهود والوثنيين، ولا ننسى أن الوثنية كانت دينا يؤمن به أهله في طاعة الخشوع، وكانت لهم طقوس في هياكلهم، وكانت تلك الطقوس تُؤدى على نحو قريب مما كان يفعله أهل الكتاب من النصارى واليهود، والقرآن وضع لأهله صلوات وترنيمات تقرب في صيغتها الفنيّة مما كان لأهل الكتاب من صلوات وترنيمات، الفرق بين الملتين يرجع "إلى المعاني، ويكاد ينعدم فيما يتعلق بالصور والأشكال، ولو دخلت كنيسة في باريس، ورأيت كيف تتلى الدعوات بعد الصلاة، لتذكرت الصورة في مساجد القاهرة، ذلك بأن الديانات الثلاث؛ الإسلام والنصرانية واليهودية ترجع إلى مهد واحد وهو الجزيرة العربية. فاللون الديني واحد، وصورة الأداء تكاد تكون واحدة، فلا تحسب أن القرآن غيّر مناهج الناس في يوم وليلة، وتذكر أنه لم يشأ إلا أن يصلح من عقائد من دعاهم إلى الله، وأن يروضهم على فكرة واحدة هي التوحيد.

---

[13] وجوه الإعجاز في الخطاب الأسلوبي والمعرفي للقرآن الكريم، د. نصرالدين إبراهيم أحمد، ، مركز البحوث، الجامعة الإسلاميّة العالميّة ، ماليزيا، الطبعة الثانية، عام 2005م. ص121-122

ومعنى هذا أن القرآن يسجع، لأن السجع كان فنا من فنون القول والدعاء عند الجاهلية، والصلوات بطبيعتها تحتاج إلى لون من الفن يتمثل في السجع، لأن فيه استجابة للموسيقى الوجدانية في قلوب المتبتلين"[14].

إذن السجع أو الفاصلة أو التوازن كان شيئاً كائناً في الديانات السماوية التي هبطت في الجزيرة العربية، ولذا استقبلها العرب بارتياح وطمأنينة، حيث اخترقت حاجز الحس والوجدان لديهم، فتعاملوا معها كما يتعاملون مع شيء مألوف لديهم، ولكن بالطبع، طريقة السجع في القرآن الكريم وأدائه، يختلف عمّا عند هؤلاء، وذلك لاختلاف نوعيّة الخطاب الأسلوبي، والمعرفي للقرآن الكريم، فطريقة التوظيف تختلف، وهذا ما تميّز به القرآن الكريم عن غيره من ديانات سماوية.

ونضرب بعض الأمثلة على كثرة السجع في القرآن، وأنه يأتي عفو الخاطر، وليس على حساب المعنى؛ لأن المعنى أصل في القرآن، والسجع شكل من أشكال التعبير يؤدي إلى المعنى المقصود، ومن ذلك قوله تعالى: (**تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ،مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ،سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ،وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ،فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ**) (المسد،آية:1-5).

فتبّت بمعنى هلكت، وهذا دعاء عليه. واليد تعني النفس، مثل قول الله سبحانه وتعالى: (**وَلاَ تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ**) وبعده إخبار بهلاكه. وليست كلمة (وتب)، زيادة اقتضتها الفاصلة، كما يذهب البعض، فالقرآن لا تجد زيادة فيه أو حشواً، لأنه كلام الله سبحانه وتعالى، القادر المصور البارع، فهذه اليد التي تعرضت لسيد المرسلين يجب أن تعاقب أولاً على فعلتها الآثمة، حتى لا يلتفت النظر إلى معاقبة اليد فقط جاءت كلمة "وتب" للخروج من الخاص إلى العام، إذ ليس المقصود هنا هلاك اليد فقط بل يمتد ذلك إلى النفس كلها لما أرتكبته من آثام. إذاً كلمة "وتب" ليست لتناسق العبارة من الجانب الموسيقي، بل فيها معانٍ إضافيّة. وكذلك كلمة "وما كسب"، المال عصب الحياة، ولكن ليس وحده، فأبو لهب يمتلك العبيد، والمكانة بين قومه، والسيادة، والجنود، والولد...الخ. ولذا جاءت هذه الكلمة لتظهر هذه الدلالات الخفية، فالأمر لا يتعلق بالمال وحده إذاً. أمّا كلمة "ذات لهب"، فهي كلمة ليست زيادة أو حشواً، وذلك لأن النار الخامدة لا تحرق، إلا إذا ارتفع لهبها وتطاير شرارها.

ومن هنا نعلم، أنّ اللفظ والمعنى في القرآن الكريم يتكملان، فلا يطغى أحدهما على الآخر، لأن القرآن كلام الله الخالق البارئ المصور.ومن أمثلة ذلك قوله: (**وَالضُّحَى،وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى،مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى،وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنْ الْأُولَى،وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى،أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى،وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى،وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى،فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ،وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ،وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ**) (الضحى،آية: 1 – 11).

وهنا تلاحظ تراص الفواصل مع بعضها في انسجام وتناسق لا يخل بالمعاني، بل يمنحها نوعاً من الإبداع الأسلوبي، والأسلوب المبدع. فالكلمات (فَآوَى، فَهَدَى، فَأَغْنَى)، تلاحظ أنها جاءت لتعبّر عن المعاني التي طرحتها الآيات القرآنية دون ما زيادة أو نقصان، كما تلاحظ استخدام حرف العطف (الفاء) الذي يفيد التعقيب، فالمعاني جاءت مرتبة ترتيباً تصاعدياً على حسب ما تقتضيه الحاجة فلكل مقام مقال، فالحالة التي كان عليها الرسول (ص)، كانت تتطلب مراعاة مقتضى الحال. وإذا

[14] النثر الفني في القرن الرابع،زكي مبارك 1 / 65،الطبعة الأولى،مطبعة دار الكتب المصرية،القاهرة، د.ت .

نظرت إلى كلمة " تقهر" التي أُضيفت لليتيم، وكلمة "تنهر" التي أُضيفت للسائل، لأدركت عظمة القرآن في التصوير والتعبير. فقد أسندت كلمة "تقهر" لليتيم؛ لأن المال ماله، أمّا كلمة "تنهر" للسائل؛ لأنه يسأل من مال غيره، ولا يمكنك بأية حال أن تبدل أو تغيّر، أو تأتي بكلمات غير ذلك، لأن المقام لا يتسع إلا لهذا.

ومن ذلك قوله: (**وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا،وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا،وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا،وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا، وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا،وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا،وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا،فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا،قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا،وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا**) (الشمس ، آية: 1 -) ..وكذلك قوله: (**أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ،إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ،الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ،وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ،وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ،الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ،فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ،فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ،إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ**) (الفجر، آية: 6 – 14).

وللأستاذ أحمد حسن الزيات رأي في ذلك، يقول: "رأيت معي أنّ تقطيع المنثور من الكلام جملاً أو فقراً أو فواصل عمل بلاغي تقضيه حالة النفس وحركة الذهن، وطبيعة التنفس، وهذا التقطيع وإن نشأ في اللغة على مقتضى الطبع له فلسفة وهندسة وموسيقى، هن عناوين علم البلاغة وبراهين فن البليغ. فالهندسة والموسيقى، ملاكهما التلاؤم بين أجزاء الفقر وفواصلها، فإن كانت الفواصل متعادلة فهو التوازن، وإن كانت متماثلة فهو السجع، مثال الأول: (**وَآتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ،وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ**) (الصافات، آية: 117 ، 118). ومثال الآخر: (**إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ،وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ،يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ**) (الانفطار، آية: 13 ، 14).

فبين المستبين والمستقيم تعادل، وبين نعيم وجحيم تماثل. إذن الازدواج على إطلاقه، والسجع على تقييده يؤلفان الموسيقى في الأسلوب البليغ، منذ كان للعرب ذوق، وللعربية أدب، فليس الحال فيهما هي الحال في سائر الأنواع البديعية التي نشأت في الحضارة ونمت بالترف، وسمجت بالفضول وفسدت بالتكلف.فالذين ينكرون على من يحسنون التأليف بين الأصوات والمزاوجة بين الكلمات والمجانسة بين الفواصل إنما ينكرون جمال البلاغة في دهر العروبة كله"[15].

فالفكرة والذوق يعينان صاحبهما على بلوغ هذه المنزلة، أخرج ابن أبي حاتم من طريق الشعبي عن زيد بن ثابت،قال: أملى علي رسول الله (ص) هذه الآية: (**وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ،ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ،ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ**) (المؤمنون،آية: 12 – 14) فقال معاذ بن جبل: "فتبارك الله أحسن الخالقين". فضحك رسول الله (ص) ، فقال معاذ:مم ضحكت يا رسول الله؟ قال:بها ختمت "[16].

وهذه الظاهرة الموسيقية من مكونات التعبير في الأسلوب القرآني حيث "تستمد العبارة دلالتها- في العمل الأدبي- من مفردات الدلالة اللغوية للألفاظ، ومن الدلالة المعنوية الناشئة عن اجتماع الألفاظ وترتيبها في نسق معين، ثم من الإيقاع

---

[15] دفاع عن البلاغة، أحمد حسن الزيات،ص 114 ، مطبعة الرسالة ، القاهر،د.ت .

[16] الإتقان في علوم القرآن،السيوطي، 2/ 170، ط حجازي، القاهرة، عام 1360هـ .

الموسيقي الناشئ من مجموعة إيقاعات الألفاظ متناغما بعضها مع بعض، ثم من الصور والظلال التي تشعها الألفاظ متناسقة في العبارة "[17].

وتتجلى شاعرية اللغة العربية في جانب ثر،وهو مجال الإعراب، أي العبارات في حركات الإعراب "وهذا الإعراب المفصل في هذه اللغة الشاعرة هو آية السليقة الفنيّة، في التراكيب العربية المفيدة، توافرت لها مفهومة بعد أن توافرت لها حروفاً تجمع مخارج النطق الإنساني على أفصحها وأوفاها وبعد أن توافرت لها مفردات واضحة ترتبط فيها المعاني بضوابط الحركات والأوزان .

وهذه الحركات والعلامات تجري مجرى الأصوات الموسيقية وتستقر في مواضعها المقدّرة على حسب الحركة والسكون في مقاييس النغم والإيقاع "[18].

والإيقاع الموسيقي منتشر في القرآن الكريم جميعه،فحيثما تلاه المؤمن أحسّ بالإيقاع الداخلي في سياقه، ولكنه يبرز بروزاً واضحاً في السور القصار، والفواصل السريعة، ومواضع التصوير، والتشخيص بصفة عامة، ويتوارى قليلا أو كثيرا في السور الطوال، ومن ذلك قول الله تعالى:

(وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى،مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى،وَمَا يَنْطِقُ عَنْ الْهَوَى،إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى،عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى،ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى،وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى،ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى،فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى،فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى،مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى،أَفَتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى،وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى، عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى،عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى،إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى،مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى،لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى،أَفَرَأَيْتُمْ اللَّاتَ وَالْعُزَّى،وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى،أَلَكُمْ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنْثَى،تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى) (النجم،آية: 1- 22).

ويعلّق الأستاذ سيد قطب على هذه الآيات ذاهباً إلى أنّ هذا الإيقاع الموسيقي متناسق متزن في القرآن الكريم، وهذا التناسق والاتزان فيه ألوان مختلفة؛ منها أن يكون إيقاعاً ناتجاً عن فواصل متساوية في الوزن تقريباً ، متحدة في حرف التقفية تماما،ذات إيقاع موسيقي متحد، ويكون اختيار الألفاظ تبعاً لهذا الإيقاع، بحيث إذا حذف لفظ منها اختلت القافية، وتأثر الإيقاع.مثال ذلك. الإيقاع الموسيقي لسورة النجم،وهو هنا متوسط الزمن تبعاً لتوسط الجملة الموسيقية في الطول،متحد تبعا لتوحد الأسلوب الموسيقى، مسترسل الروي كجو الحديث الذي يشبه التسلسل القصصي.

واختيرت الألفاظ لتناسب الإيقاع في قوله: " **أَفَرَأَيْتُمْ اللَّاتَ وَالْعُزَّى 19 وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى** "فلو أنك قلت:أفرأيتم اللأت والعزى ومناة الثالثة،لاختلت القافية ولتأثر الإيقاع.وكذلك في قوله: "لكم الذكر وله الأنثى،تلك إذن قسمة ضيزى"، فلو

---

[17] النقد الأدبي أصوله ومناهجه ،سيد قطب، ص 41، دار الشروق، بيروت-لبنان، د.ت.

[18] اللغة الشاعرة، مزايا الفن والتعبير في اللغة العربية، الأستاذ عباس محمود العقاد، ص 20 - 21 مكتبة الأنجلو المصرية، الطبعة الأولى، عام 1960م.

قلت:ألكم الذكر وله الأنثى؟ تلك قسمة ضيزى...لاختل الإيقاع المستقيم بكلمة إذن،فكلمتي (الأخرى)، و(إذن)جاءتا لتؤديا معنى في السياق، ولتؤديا تناسبا في الإيقاع في وقت واحد[19].

ومن ثم يذهب الأستاذ سيد قطب في كتابه، في (ظلال القرآن) إلى أن فيه القرآن الكريم إيقاع موسيقي جذّاب،وهذا الإيقاع يتألف من عدّة عناصر "من مخارج الحروف في الكلمة الواحدة، ومن تناسق الإيقاعات بين كلمات الفقرة، ومن اتجاهات المد في الكلمات، ثم من اتجاهات المد في نهاية الفاصلة المطردة في الآيات،ومن حرف الفاصلة ذاته .

ثم يؤكد ما ذهب إليه قائلاً: "ولأن القرآن الكريم إعجاز بياني كامل، ويتمثل فيه الأسلوب الفني المعجز، فلا بدّ من أن يوجد فيه الإيقاع الموسيقي المعجز.ولا ضرر من نسبة الجرس والإيقاع أو الموسيقى إلى أسلوب القرآن، وأن نلحظ وجودها فيه وأن نبينها للناس كافة، لأن القرآن الكريم يسير على سنن العربية وأساليبها في التعبير. والموسيقى تكمن في الخطاب الأسلوبي للقرآن الكريم، وهي ميزة تميّزه عن الاستخدام اللغوي العربي المعتاد، وهذا الجانب له خاصيته التي جعلت العرب يقفون أمامه حيرى والإيقاع الموسيقي فيه يتألف من عدة عناصر:

1-من مخارج الحروف في الكلمة الواحدة.

2-ومن تناسق الإيقاعات بين كلمات الفقرة.

3-ومن اتجاهات المد في الكلمات.

4-ثم من اتجاهات المد في نهاية الفاصلة المطردة في الآيات.

5-ومن حرف الفاصلة ذاته"[20] .

ويرى الدكتور عبد الحميد حسن: "كل هذه العوامل الصوتية من مخارج الحروف، وصفاتها وحركاتها وتتابع هذه الحركات أو تفرقها تجعل للكلمة قوة موسيقية خاصة، ورنينا يطبعها بطابع خاص"[21].

ونخرج من هذا، أن الإيقاع الموسيقي يرتبط بالتحليل الأسلوبي، وهذا الثاني يساعد على فهم الخطاب المعرفي في القرآن الكريم وتذوقه ، فالنص القرآني يتكون من أسلوب،وخطاب معرفي، وفي هاتين الحالتين، نحتاج إلى التحليل الأسلوبي الدقيق للكشف عن معاني القرآن الكريم ودلالاته الخفية.

ولا نريد أن نكثر،فالمقام يطول، وإنما أتينا بهذه النماذج على سبيل المثال لا الحصر، ومن يريد أن يستزيد من هذا الفيض الرباني، فكتاب الله شاخص أمامه، فحسبه به.

---

[19] التصوير الفني، سيد قطب، دار المعارف، مصر،الطبعة الثانيّة،د.ت، ص 86 – 87.

[20] في ظلال القرآن،سيد قطب، 2039/4، طبعة دار إحياء الكتب العربية عيسى الحلبي،مصر،الطبعة الثانية،د.ت.

[21] الأصول الفنيّة للأدب، عبد الحميد حسن، ص 40، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، الطبعة الثانية، 1964م، د.ت.

التشبيه.

تشبيه المحسوس بالمعقول في القرآن الكريم .

نضرب مثالاً للتشبيهات في القرآن الكريم،ونستمع لبعض العلماء المحدثين في محاورتهم لهذه التشبيهات الرائعة. من ذلك قوله تعالى: (**إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ،طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ،فَإِنَّهُمْ لَآكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ**) (الصافات، آية: 63- 65).

يذهب الأستاذ الدكتور أحمد أحمد بدوي إلى أن القرآن لا يُشَبِّه محسوساً بمعقول،ويؤول قوله تعالى هذا بقوله: "فالذي سمح بأن يكون المشبه به خيالياً، هو ما تراكم على الخيال بمرور الزمن من أوهام رسمت في النفس صورة رؤوس الشياطين في هيئة بشعة مرعبة، وأخذت هذه الصورة يشتد رسوخها بمرور الزمن، ويقوى فعلها في النفس،حتى كـأنها محسوسة ترى بالعين وتلمس باليد، فلما كانت هذه الصورة من القوة إلى هذا الحد ساغ وضعها في موضوع التصوير والإيضاح. ولا نستطيع أن ننكر ما لهذه الصورة من تأثير بالغ في النفس،ومما جرى على نسق هذه الآية قوله تعالى: ﴿**وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ**﴾ (القصص،آية: 31). ففـي الخيال صورة قوية للجان،تمثله شديد الحركة،ولا يكاد يهدأ ويستقر"[22].

وتحقيق هذه المسألة أن بعض العلماء أنكر وقوع هذا النوع من التشبيه في القرآن،محتجين بأنه جرى على الأصل الأبلغ في أن الحسي أصل للعقلي، وقال آخرون بوقوعه محتجين بقوله تعالى: (**إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ،طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ**) (الصافات،آية: 64-65).

وقد سأل إبراهيم الكاتب العرياني أبا عبيدة في مجلس الفضل بن الربيع عن معنى الوعيد في ذلك، وإنما يقع الوعد والإيعاد بما قد عرف مثله، وهذا لم يعرف،فقال: إنما كلم الله العرب على قدر كلامهم،أما سمعت قول امرئ القيس:

أيقتلني والمشرفيّ مضاجعي ومسنونة زرق كأنياب أغوال

وهم لم يروا الغول قط،ولكنهم لما كـان أمر الغول يهولهم أوعدوا بـه، فاستحسن الفضل ذلك،واستحسنه السائل[23].

ويقول الجاحظ، وليس أن الناس رأوا شيطاناً قط على صورة، ولكن لما كان الله تعالى قد جعل في طباع جميع الأمم استقباح جميع صور الشياطين، واستسماجها وكراهتها، وأجرى على ألسنة جميعهم ضرب المثل في ذلك رجع بالإيحاش والتنفير وبالإحاطة والتقريع إلى ما قد جعله الله في طباع الأولين والآخرين، وعند جميع الأمم على خلاف طبائع جميع الأمم. ثم يقول وهذا التأويل أشبه من قول من زعم من المفسرين: أن رءوس الشياطين نبات ينبت باليمن[24].

---

[22] من بلاغة القرآن، الدكتور أحمد أحمد بدوي،ص 194.

[23] نزهة الألباء، ابن الأنباري، ص 143، المدني، القاهرة، د.ت.

[24] الحيوان،الجاحظ، 4 / 13، تحقيق الأستاذ عبد السلام هارون،الناشر دار الكتاب العربي،بيروت – لبنان،الطبعة الثالثة،عام 1969م.

ورد على من يقولون: بأنه كيف يجوز أن يضرب المثل بشيء لم نره فنتوهمه، ولا وُصف لنا صورته في كتاب ناطق أو خبر صادق،بقوله: "وإن كنا نحن لم نر شياطين صُور رؤوسها لنا،صادق بيده، ففي إجماعهم على ضرب المثل بقبح الشيطان حتى صاروا يضعون ذلك في مكانين:

الوجه الأول: أن يقولوا:لهو أقبح من الشيطان!

والوجه الأخر:أن يسمى الجميل شيطان على جهة التطيّر به،كما تسمى الفرس الكريمة شوهاء، والمرأة الجميلة صماء وقرناء وخنساء وجرباء وأشباه ذلك على جهة التطيّر به. وفي إجماع المسلمين والعرب وكل من لقيناه على ضرب المثل بقبح الشيطان على أنه في الحقيقة أقبح من كل قبيح، والكتاب إنما نزل على هؤلاء الذين ثبت في طباعهم غاية التثبت ... فما القول في ذلك إلا كالقول في الزبانية، وخزنة جهنم وصور الملائكة الذين يتصورن في أقبح الصور إذا حضروا لقبض أرواح الكفار، وكذلك في صورة منكر ونكير، ويكون للمؤمن على مثال، وللكافر على مثال[25].

والقول في هذه المسألة ما ذهب إليه الأستاذ علي الجندي من أن في الآية ثلاثة أقوال:

1-أن الشياطين هم متمردة الجن القباح الصوروالمناظر ،كما وقر في أذهان الناس.

2-أن الشياطين هم الحيّات على جاري تسمية العرب لها،فهم يعتقدون في هذا الاعتقاد الذي ساد بينهم.

3-أن الشياطين شجر مخصوص منكر الصورة.

وأرجح هذه الأقوال هو الأول، لأن العرب كانت تتمثل الشياطين كما تتمثل اليوم على غاية الشناعة،كما كانت تصف الملائكة بالحسن والجمال ولهذا زعموا أنهم بنات الله،تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا. ثم يستطرد الأستاذ على الجندي فيذكر ما ذكره الثعالبي من أن الصاحب بن عباد كان يستملح قول أبي علي البصير في أبي هفان ويستظرفه وكثيرا ما كان ينشده ويردده:

لي صديق في خلقة الشيطان وعقول النساء والصبيان

من تظنونه فقالوا جميعـا ليس هـذا إلا أبا هفان

انظر إلى ما يتركه هذا التشبيه من أثر يمثل أمامك الخوف الأبدي من تردد يعقب الندامة والهوان، ويمثل أمامك هؤلاء الذين يستبدلون خيراً بشَرَّ وسعادة بشقاء، يمثلون أمامك ذاهلين عن أنفسهم، أو ذاهلة نفوسهم عنهم لا يدركون ما حولهم، وكأنه ليسوا من الحياة[26].

---

[25] الحيوان،الجاحظ،6/ 65.

[26] انظر: فن التشبيه ، الأستاذ علي الجندي ، ج2 ، ص 103 - 104 ، القاهرة، د.ت.

الخاتمة:

يتضح – من هذا البحث – أن الأساليب البلاغيّة تلعب دوراً فاعلاً في فهم واستيعاب النص القرآني، واستيعاب دلالاته الخفية أو ما يُسمى بالمعاني الثواني، وذلك لما تتميّز به الأساليب البلاغيّة من اتساع في المعاني، وبراعة في صور التعبير والتصوير. وقد جاءت أساليب القرآن الكريم- التي فاقت طوق البشر- من جنس هذا النمط الراقي ، فقد ذكر الله سبحانه وتعالى: (**حم 1 تَنزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ 2 كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ 3**) فصّلت، آية: 1-3. وقال تعالى: (**وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ 192 نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ 193 عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ 194 بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ 195**) الشعراء، آية: 192-195. وقال عزّ وجلّ: (**لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ 103**) النحل، آية: 103. وأنك تلحظ هنا، أن كلمة (عربيّ) لازمتها كلمة (مبين)، والإبانة من البيان، والبيان هو البلاغة والفصاحة. إذاً النتيجة واضحة، دون فهم الأساليب البلاغية المتعددة، يصعب فهم القرآن ودلالاته، والمعاني التي تكمن خلف أسلوبه الرائع، ومن هذا نستطيع ان نخلص إلى النتائج التاليّة:

أولاً:إنّ هذه الطريقة رائدة، ندعو أن يتمثلها دارسوا القرآن، لما لها من أثر نفسي يغذي قوى النفس التي هي في حاجة لفهم دقائق كتاب الله عزّ وجلّ.

ثانياً: إنّ المعاني الخفية، أو المعاني الثواني التي تكمن خلف الأسلوب، لا يمكن إدراكها إلا عن طريق فهم الأساليب البلاغيّة.

ثالثاً: إنّ الطريقة التصويرية الرائعة، والجمال الذي يرتسم في حركة الصورة في القرآن الكريم حينما يتملاها الخيال في إطار من الطبيعة الجاذبة، إنما يكون لغزه في فك هذا الإطار البلاغي.

رابعاً: نرى أن الاهتمام بعلم البلاغة، وتدريسها بروح حساسة متذوقة للفن الجمالي، والجمال الفني يساعد الباحث على التغلغل في دقائق معاني القرآن الكريم.

المصادر والمراجع:

1. ابن الأنباري، المدني، **نزهة الألباء**، القاهرة، د.ت.
2. أحمد أحمد بدوي، **من بلاغة القرآن**، القاهرة ، مكتبة نهضة مصر بالفجالة، د.ت.
3. أحمد حسن الزيات، **دفاع عن البلاغة**، مطبعة الرسالة ، القاهر،د.ت .
4. الجاحظ، **الحيوان، 4 / 13**، تحقيق الأستاذ عبد السلام هارون،الناشر دار الكتاب العربي،بيروت – لبنان،الطبعة الثالثة،عام 1969م.
5. الزركشي،**البرهان في علوم القرآن، 3 / 222** ، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم الطبعة الأولى،القاهرة، د.ت.
6. زكي مبارك ،**النثر الفني في القرن الرابع**، 1/ 65،الطبعة الأولى،مطبعة دار الكتب المصرية،القاهرة، د.ت .
7. الزمخشري،**الكشاف، ج3**،القاهرة، الطبعة الثانية، د.ت.
8. ابن الزِملكاني، **التبيان في علم البيان،المطلع على إعجاز القرآن الكريم**، تحقيق أحمد مطلوب،خديجة الحديثي، الطبعة الأولى، د.ت.
9. سيد قطب، 2039/4، **في ظلال القرآن**، طبعة دار إحياء الكتب العربية عيسى الحلبي،مصر،الطبعة الثانية،د.ت.
10. سيد قطب، **التصوير الفني**، دار المعارف، مصر،الطبعة الثانيّة،د.ت.
11. سيد قطب، **النقد الأدبي أصوله ومناهجه** ، دار الشروق، بيروت-لبنان، د.ت.
12. السيوطي،**الإتقان في علوم القرآن، 2/ 170**، ط حجازي، القاهرة، عام 1360هـ .
13. عائشة عبد الرحمن، **الإعجاز البياني للقرآن**، ، دار المعارف، عام 1971م.
14. عباس محمود العقاد، اللغة الشاعرة، **مزايا الفن والتعبير في اللغة العربية**، مكتبة الأنجلو المصرية، الطبعة الأولى، عام 1960م.
15. عبد الحميد حسن، **الأصول الفنيّة للأدب**، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، الطبعة الثانية، 1964م، د.ت.
16. عبد القاهر الجرجاني، **دلائل الإعجاز**، صحح أصله الأستاذ الإمام محمد عبده، والأستاذ الشيخ محمد محمود التركزي الشنقيطي، دار المعرفة، بيروت- لبنان، الطبعة الثانيّة، عام 1419هـ 1998م .
17. علي الجندي، **فن التشبيه**، ج2 ، القاهرة، د.ت.
18. فتحي عامر، **فكرة النظم بين وجوه الإعجاز في القرآن الكريم**، طبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلاميّة، القاهرة، عام 1975م.
19. نصرالدين إبراهيم أحمد، **وجوه الإعجاز في الخطاب الأسلوبي والمعرفي للقرآن الكريم**، مركز البحوث، الجامعة الإسلاميّة العالميّة ، ماليزيا، الطبعة الثانية، عام 2005م.